الفصل الثامن
الطريق الطويل

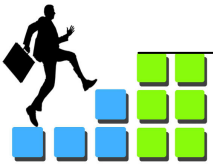

مشكلة جديدة!! ماذا يريد مني الآخرون؟،

7 سبتمبر عام 2006 – منذ إدراج الشرق الجديد في بورصة نيويورك – بدأت الهالات تحيط بيو مين هونغ؛ بسبب ثروته الضخمة، إلى أن أصبح "أغنى مدرس في الصين"، وكذلك بدأ يرتفع اسم الشرق الجديد أيضًا لتصبح نجمة جديدة تتلألأ في سماء الشرق.

في البداية كانت الشرق الجديد مثل فصول التدريب الصغيرة الأخرى؛ حيث نشأت من بين عامة الشعب، وبدأت من مجرد مشروع للسعي وراء لقمة العيش. لم يكن من المتوقع أنه سيصبح أشهر مؤسسة تعليم أهلية في الصين، يتسارع الناس إلى إرسال أولادهم إليها.

إن التعليم الأهلي هو أذكى وسائل الشرق الجديد؛ **أولًا:** بالمقارنة مع الجامعات الحكومية من حيث الشهادة، بالتأكيد لا يوجد وجه مقارنة بينهما، وكذلك لا يقبل الأهالي بشهادة المدرسة الأهلية. **ثانيًا:** على

العكس، فمن خلال الجامعات الحكومية ستصبح هي مؤسسة مساعدة، يمكنها التركيز على استغلال مهاراتها وقدراتها في المجالات التي لا تتقن الجامعات الحكومية العمل بها، أو تكون متعبة بالنسبة لها.

وهكذا حولت الشرق الجديد أكبر عيوب التعليم الأهلي الصيني إلى أفضل مميزاته.

بالطبع، لم تكن مدرسة الشرق الجديد أول من اكتشف هذه الثغرة. ففي بداية تطوير مدرسة الشرق الجديد، اضطُّر يو مين هونغ - بسبب الظروف آنذاك - أن يسلك طريق تدريب اللغات الأجنبية، ولكن هذا جعل مدرسة الشرق الجديد تدفع التعليم الأهلي الصيني إلى القمة، وتربعت هي على رأس هذه القمة، ولم يكن هناك من ينافسها من مؤسسات التعليم الأهلي الأخرى.

بعد إدراج الشرق الجديد في البورصة، كان معظم المستثمرين والمساهمين من الأمريكيين - الذين وقفوا تائهين أمام قطاع التعليم الصيني الغريب بالنسبة لهم - غير مدركين إلى أين ذهبت أموالهم وثرواتهم.

تحت تأثير هذه المخاوف، كيف ستربح مدرسة الشرق الجديد فهمهم ودعمهم لكي تقوم بنشاطات تجارية في مجال التعليم الصيني؟

حين لم تكن مؤسسة الشرق الجديد شركة مدرجة بعد، ذكر يو مين هونغ قائلًا: "لو كان بيدي لكنت تقاعدت الآن، وأقمت فصلًا للأطفال الفقراء في ريف من الأرياف، وعكفت على تعليمهم. وكذلك أود إقامة مركز للدراسات العلمية للقيام ببعض الدراسات، وأن أسافر إلى أي مكان إذا كان لدي وقت".

بعد إدراج الشرق الجديد في البورصة، تغير الوضع. فكان مسئول الشرق الجديد بحاجة إلى المزيد من الشجاعة والجرأة لمواجهة أكبر الضغوطات وأكثر الأوضاع تغيرًا. هل يستطيع يو مين هونغ التقاعد بسهولة؟ ستعتمد إجابة هذا السؤال على إمكانية وجود خليفة مناسب ليواصل مسيرة الشرق الجديد نحو الازدهار.

على الرغم من أن الشرق الجديد أصبحت مؤسسة مدرجة، ولكنها ما زالت مؤسسة تعليمية أهلية، ومن الصعب أن تجد من يجمع بين الخبرة في مجال التعليم، وبين المعرفة الجيدة بإدارة التسويق.

الآن، ليس يو مين هونغ رئيس مجلس إدارة الشرق الجديد فحسب، بل أصبح المحور الرئيس الذي تلتف حوله أسهم بورصة نيويورك. فكل خطوة وكل فعل يقوم به يؤثر على سوق الأسهم. ومن ثم يؤثر على آلاف المستثمرين والمساهمين. لذلك لم يكن قرار تقاعده قرارًا شخصيًّا، فمن اللازم أن يحصل على موافقة سوق الأسهم في كل خطوة يخطوها.

إن الشرق الجديد مؤسسة تجارية معقدة. فبغض النظر عن طريقة الإدارة أو أعضاء الإدارة، فهي تختلف تمامًا عن المؤسسات العادية؛ لأنها تتميز بالطابع الإنساني، لا سيما روح الحرية التي تطبعت بأفكار التنوير الغربي الجديدة. من لم يعش وينمُ داخل الشرق الجديد، من المستحيل أن يفهم "روح الشرق الجديد"، وثقافة المؤسسة. من لا يفهم ماضي الشرق الجديد، لن يتمكن من حسن إدارتها، وسيصبح حلم قيادة الشرق الجديد إلى مستقبل واعد مجرد ثرثرة فارغة.

لذلك وجب على خليفة الشرق الجديد أن يهتم بالإصلاح من الداخل والخارج، وأن يجمع ما بين الحزم والمرونة في الوقت نفسه، وأن يكون بارعًا في مواجهة الأزمات، ولكن بالنظر إلى الوضع الحالي، فلا أحد يملك تلك الصفات سوى يو مين هونغ.

الرجل المتاهة:

كان شعار الشرق الجديد ليو مين هونغ هو "التعليم لخدمة الوطن".

إن معنى التعليم والتربية هو تعليم العلوم وتربية الإنسان. والشرق الجديد عند يو مين هونغ لا تقوم بنشر الأخلاق والمبادئ، ولكنها تعلم مهارة كيفية اجتياز الامتحان. تعتبر مدرسة الشرق الجديد نفسها مجرد حجر أساس للدراسة خارج الصين. وهكذا عادت مدرسة الشرق الجديد إلى مجرد مؤسسة تدريب فقط لا مؤسسة تعليمية.

تعتبر خطابات يو مين هونغ التحفيزية هي الجانب التعليمي الوحيد في العملية الكاملة لإدارة الشرق الجديد؛ لأنه عندما يلقي خطاباته، يرى نظرات عشرات الآلاف من الطلاب يملؤها التعطش والشوق لخطاباته التحفيزية، فيتحدث إليهم باستفاضة عن كيفية وضع أهداف في الحياة، وكيفية تحقيق النجاح، والبحث عن الموطن الروحي.

ولكن، حتى لو وُجدت مثل هذه الخطابات "التعليمية"، إلا أن ذلك لا يتعارض مع وجود هدف تجاري، جذب عددًا أكبر من الطلبة إلى الشرق الجديد. وقد كانت خطاباته كلها تحمل معنى واحد، وهو: إذا التحقت بمدرسة الشرق الجديد، فستستطيع أن تصبح ناجحًا مثل يو مين هونغ.

إن الفصل بين التدريب والتعليم أمر تترسخ أصوله في الثقافة التقليدية والتاريخية للصين منذ أمد بعيد، كما أنه نوع من أنواع التناقض الموجود بالفعل في التعليم الصيني منذ القدم. فالتعليم التقليدي الصيني دائمًا ما يهتم بالتهذيب الأخلاقي والفكري، ويهمل "المهارات".

كان يو مين هونغ يتطلع إلى تطوير مدرسة الشرق الجديد؛ لتصبح أفضل جامعة أهلية في الصين، مثل جامعات هارفارد وييل وستانفورد في أمريكا. إلا أن هذه الجامعات الأهلية الشهيرة كلها جامعات لا تهدف

للربح، ولكن في الوضع الحالي للصين، يعتبر حلم يو مين هونغ في أن تصبح مدرسة الشرق الجديد مدرسة ربحية، لا تمتلك أموالًا، ما هو سوى أمنية واهمة.

إن "النقص" الذي تعاني منه مدرسة الشرق الجديد، دائمًا ما يجعلها تقف حائرة بين التعليم والتدريب، فهي تأخذ أموال التدريب، وفي الوقت نفسه تنادي بشعار التعليم. تقوم بإضافة بعض من النكهة التعليمية إلى التدريب؛ لتعطيه شكلًا جماليًّا فحسب .. تحمل حلم المثالية، وتقدم المنح والمساعدات من باقي الأرباح؛ للبحث عن الشعور بالسمو والرفعة.

اختارت مدرسة الشرق الجديد طريقة ذكية لبداية انطلاق صحيحة، ومن هنا بدأت تمضي في طريق النجاح. إستراتيجية الشرق الجديد بسيطة جدًّا، فهي تقوم على إضافة عوامل التعليم في إدارة صناعة التدريب، وهذا يلبي حاجة يو مين هونغ في "الشعور بالسمو والرفعة"، ومن ناحية يجعل العلامة التجارية للشرق الجديد تتمتع بقوة جاذبية أكثر؛ فهي تستعين بسحر العلوم الإنسانية لزيادة حجم النشاط التجاري، وبهذا تحقق التكامل، فهذا يفيد الجانبين: التجارة والتعليم.

على الرغم من أن حزن يو مين هونغ أمر لا مفر منه، إلا أن انفصال أي

مثل روحية عن الأساس المادي هو أمر غير واقعي؛ فمدرسة الشرق الجديد يمكنها فقط أن تعلو منصة التجارة؛ لتتمكن من رفع لافتة "التعليم"، وعلى الرغم من صعوبة منع انغماسه بالتجارة، ولكن كما قال يو مين هونغ: "رجل الأعمال والمعلم هما نوعان من الناس يمكنهما تغيير العالم، فلماذا نفرض عليهما أن يكونا أعداء؟"

اليوم أصبحت مدرسة الشرق الجديد مهد الأحلام للكثير من الناس، و"مصنع الأحلام" الذي يقوم بتحقيق أحلامهم. فقد تمكن عشرات الآلاف من الدارسين من تحقيق أحلامهم في الدراسة خارج الصين، عن طريق الدراسة الشاقة بمدرسة الشرق الجديد. ولكن يشعر يو مين هونغ "محقق الأحلام" بالحيرة والتساؤل، حول شخصيتيه المزدوجة، المدرس أو رجل الأعمال، أيهما أقرب إلى نفسه؟

لم يعد دخل يو مين هونغ الأساسي له علاقة بالتدريس. فلقد غادر منصة التدريس، ودخل البورصة الأجنبية، ولا يمكن أن يعود إليها مرة أخرى، فهو – منذ هذه اللحظة – رجل أعمال لا معلم. كان يو مين هونغ يبذل جهده متنقلًا بين إدارة الموارد البشرية والشئون المالية، وبين الشركة والبورصة، وازداد ابتعادًا عن التدريس. وقد أنشأ من الشرق الجديد سفينة ضخمة، وقادها بعيدًا، ولن تعود إلى البداية مرة أخرى.

ولكن لم يقنع يو مين هونغ بذلك، ولم يكن راضيًا، وكان يبذل قصارى

جهده محاولًا استعادة لقبه: "المدرس رجل الأعمال". فقد حاول البحث عن نكهة التعليم في التجارة، وحاول أن يظهر بروح المدرس في شخصية رجل الأعمال.

يحب يو مين هونغ أن يناديه الآخرون بالأستاذ، وأكد عدة مرات على حبه للعمل في مجال التعليم، فأكثر ما يحب فعله هو إلقاء الخطابات. لحظات إلقاء الخطابات هي التي يستطيع يو مين هونغ من خلالها أن يخبر محبيه ومعجبيه بمواقف حياتية عن المثابرة، ويتحدث عن حقيقة السلوك الإنساني، كما يحكي لهم عن السر الحقيقي للنجاح في الحياة.

ولكن هذا المعلم – الذي كرس نفسه وحياته من أجل مبادئه – لم يكن يواجه فقط الكثير من الطلبة البسطاء، بل كان يعالج أيضًا مشاكل رسوم التدريس، وتقسيم أرباح نهاية العام، وكذلك كان يفكر في كيفية توسيع حجم الشرق الجديد وزيادة أرباحها، واهتم باتجاهات الأسهم وأرباح المساهمين، وتحقيق التوازن في العلاقة المعقدة بين كبار المسئولين التنفيذيين. كل هذه الأمور قد تجاوزت حدود المدرس.

من مدرس إلى طالب، ومن طالب إلى مدرس، ومن مدرس إلى رجل أعمال، هكذا كتب يو مين هونغ أسطورة نجاحه. ولكن عندما اتضحت الرؤية أمامه، اكتشف فجأة أنه لم ينعم بعدُ بشعور السمو والرفعة.

إن الشعور بالسمو والرفعة قد نعم به يو مين هونغ من قبل، ولكنه لم يدركه، وعندما أدرك أنه بحاجة لهذا الشعور، لم يستطع الرجوع من طريقه.

أخيرًا، اختار يو مين هونغ طريقة توفيقية لاستعادة هذا الشعور، ألا وهي المساهمة في الأعمال الخيرية.

إن يو مين هونغ نموذج للمثقف الصيني. فإذا كان رجل أعمال فقط، لما شعر بالقلق والحزن بسبب افتقاره للشعور بالسمو. وإذا كان مدرسًا فقط، لما استطاع تخليص نفسه من دوامة المال. هويته المزدوجة التي تجمع بين كونه مدرسًا ورجل أعمال، جعلته في مأزق.

عندما كان مدرسًا في جامعة بكين، اجتهد في كسب المال؛ لتغطية مصاريف أسرته، وإطعامهم، وتحسين مستوى معيشته، وعندما استطاع جمع الأموال التي تجاوزت ملياري يوان، وجد نفسه فجأة على قمة الجبل، ولكن لم يكن المنظر من على القمة كما كان يريد.

غالبًا ما يتردد الناس بين الجمال والمنفعة: أيهما يمكن التخلي عنه؟؛ فهم دائمًا ما يتمنون امتلاك الاثنين معًا. ولكن عندما واجه هذه السوق التي لا تهتم بالمعيار الأخلاقي، اضطُّر يو مين هونغ إلى تسمية نفسه - مترددًا بكل خجل - "المدرس التاجر".

في مجموعة الشرق الجديد الأهلية، كثير من المدرسين والمدرسات لا يقومون بالتدريس من أجل أن ينعموا بروح السمو والرفعة، ولكنهم يقومون بذلك من أجل الرواتب العالية، وتحقيق الإنجازات الكبيرة. وكذلك لم يأتِ الطلبة من أجل طلب العلم، بل من أجل الحصول على الدرجات العالية، ومن أجل الدراسة خارج الصين.

بذل يو مين هونغ جهوده لتحويل نمط المؤسسة. فهو يريد تقريب الشرق الجديد من حلمه أكثر كما قال: "تحويل صورة الشرق الجديد من مدرسة تدريب لغة أجنبية واحدة، وتوسيع أعمالها لتشمل التعليم المهني والتعليم الأساسي، وتدريب IT، وتدريب الإنترنت والنشر وغيرها من المجالات لتغطي كل الأعمار (من روضة الأطفال إلى كبار السن)، وتحتوي على كل أساليب الدراسة (مدة الدراسة متنوعة، كما يمكن التفرغ للتدريب أو التدريب بجانب العمل)، وقد أطلقت خطة "الاكتساح" للتعليم، باستخدام كل الوسائل المتنوعة (التدريس وجهًا لوجه وعبر الإنترنت، ومن خلال الأقراص المدمجة والكتب وغيرها)".

وقد تغير نمط الربح، مما جعل يو مين هونغ يشعر بالإحباط؛ لأنه اكتشف أن طبيعة المصلحة لن تتغير.

كان يو مين هونغ يقول مازحًا: "أتمنى – من أعماق قلبي – ألا يكون للشرق الجديد أسهم نهائيًّا .. فأبيعها أو أهديها لأحد لا يهم، المهم أنني أستطيع هكذا أن أغادر الشرق الجديد مطمئنًا. يمكنني أن أفعل أمورًا أكثر فائدة، مثل التأليف أو التجول حول العالم بالسيارة، أو التدريس في المناطق الجبلية الفقيرة. كما أود شراء قطعة أرض جرداء في شمال غرب الصين، وأقوم بتشجيرها وتحويلها إلى واحة. فأنا أشعر بعلاقة تقارب – لا مثيل لها – بيني وبين الأرض".

يو مين هونغ الذي بدأ طريقه مزارعًا، أخذ دورة كبيرة جدًّا، ثم عاد في النهاية إلى نقطة البداية.

كيف ستجمل وجهك في الغد؟

إن إدراج الشرق الجديد في البورصة العالمية غيّر نمط الإدارة السابق. ففي الماضي كان يتم التوسع في الإنتاج، باستخدام رسوم الدراسة للطلبة وأرباح الشركة، أما الآن فالشرق الجديد تقوم بشق عالم جديد باستخدام أموال الاستثمار الخارجي.

فيما يتعلق بسؤال "كيف ستنفق أموال الأمريكيين؟"، أجاب يو مين هونغ بكل بساطة قائلًا: "سأكمل موارد التعليم في الصين".

ربحت الشرق الجديد أموالًا طائلة، وفي الوقت نفسه أنفقت كمية كبيرة أيضًا في بناء المدارس الجديدة، وتحسين البيئة التعليمية، واستقدام المدرسين المتميزين، ورفع جودة التدريس، وحتى شراء مؤسسات التعليم الأهلية الأخرى. وقد كان تطوير التعليم الصيني عن طريق السوق الخارجية، يحتاج إلى أموال؛ فبدون الأموال لن تعمل الشرق الجديد حتى ولو يومًا واحدًا.

قام يو مين هونغ بالتخطيط الدقيق لكيفية إنفاق الأموال؛ حتى ينفق كل قرش في مساره الصحيح.

أولًا: توسيع حجم العمل، وتوسيع مجالات تدريب اللغات الأجنبية، وتحسين مرافق التدريب الخاصة بها.

على الرغم من أن الشرق الجديد قد احتلت مكانة ممتازة في سوق تدريب اللغات الأجنبية، إلا أنها لم تسيطر عليه بالكامل.

من الصعب أن تصل مؤسسة أخرى للنجاح الذي حققته مؤسسة الشرق الجديد، ولكن من يضمن عدم ظهور مؤسسة تدريبية أخرى، تطيح بمؤسسة الشرق الجديد، وتتفوق عليها إذا لم تعدل هي من إستراتيجيتها؟!

لذلك أول أمر سيقوم به يو مين هونغ، هو توسيع مجال تدريب اللغات الأجنبية، والاستحواذ على أكبر قدر ممكن من حصة السوق لهذا المجال، وتوحيد الموارد والأسواق؛ حتى يحتل المكانة الأولى في مجال تدريب اللغات الأجنبية.

ثانيًا: تطوير التعليم المهني العالي والتعليم الأكاديمي: بعد التوسع الذي قامت به الشرق الجديد في مجال تدريب اللغات الأجنبية، لم تصل إلى حالة الرضا، بل استمرت في توسيع السوق أكبر وأكبر. بغض النظر عن أي تغير في سياسة الصين، إلا أنه من المتوقع خلال هذه المدة الطويلة تطبيق فكرة "نهوض الدولة بالتعليم والعلوم" في الصين.

لذلك كان التعليم هو هدف يو مين هونغ، فصب كل اهتمامه على كل من التعليم على الإنترنت والتعليم المهني العالي والتعليم الأكاديمي، وغيرها من المجالات، معتمدًا - في ذلك - على سمعة الشرق الجديد، التي كان يتردد صداها في الآذان. وهكذا يمكن أن يصمد أمام اختبار السياسة، ويتحمل التغيرات الحالية.

ثالثًا: توطيد المناطق الموجودة وزيادة قيمتها: لقد وصلت الشرق الجديد بالفعل إلى القمة، ولكن هذا لا يعني أنها ستتوقف عند هذا الحد. فقد خصص يو مين هونغ جزءًا من الأموال للدراسات والبحوث

العلمية؛ آملًا أن تصعد الشرق الجديد لقمة جديدة، وألا تصبح نموذجًا ثابتًا لا يتطور.

تعتبر الشرق الجديد رمزًا لنجاح التعليم الأهلي، ولكنها ليست رمزًا فقط، فمع أنها قد عانت في مراحل التنمية الشاقة والتغييرات التي شهدتها، إلا أن تنميتها وتطورها لم ينتهِ بعد.

العودة إلى الحلم .. الأمل الشخصي ليو مين هونغ:

23 أغسطس عام 1963، ألقى مارتن لوثر كينغ الخطاب الشهير "لدي حلم" عند نصب لنكولن التذكاري أمام 25 مليون شخص؛ لمعارضة التمييز العنصري والنداء بالمساواة.

يو مين هونغ لديه أيضًا حلم:

- يحلم أن يأتي اليوم الذي لا يترك فيه أي طفل الدراسة بسبب الفقر، وألا ينفق فيه أثمن أوقات حياته سعيًا وراء العمل والبحث عن لقمة العيش.
- يحلم – في يوم من الأيام – أن يبني مدرسة في كل منطقة نائية بالصين؛ حتى يستطيع كل طفل أن يقرأ ويكتب وأن ينمي ثقافته.
- يحلم – في يوم من الأيام – أن تكون هناك مساواة بين أبناء

الغني وأبناء الفقير، فيجلسون سويًّا في القاعات المشرقة الواسعة نفسها لتلقي المعرفة.

- كان ليو مين هونغ حلم آخر، وهو تأسيس أكاديمية ثقافية، هذه الأكاديمية مختلفة عن الشرق الجديد؛ فهي مؤسسة لا تهدف إلى الربح، ولا تقوم بأي من أعمال المؤسسات. هذه الأكاديمية مثل حديقة يو مين هونغ الخاصة، يحقق فيها أحلامه، مثل دراسة فروق الثقافات الصينية الغربية، واندماج الثقافات، وغيرها من المواضيع البحثية المفيدة للمجتمع.

هذا الحلم - الدراسات الثقافية - هو حلم لم يحققه يو مين هونغ في الجامعة. يتمنى أن يكون لكل مثقف مجاله الخاص، كما يتمنى أن يسبح في بحر الثقافة بكل حرية دون تقيّد من المصالح القائمة.

المدرسة الثانوية الدولية .. محاولة تغيير التعليم الصيني:

سبتمبر عام 2010، افتُتحت رسميًّا مدرسة الشرق الجديد للغات الأجنبية بمنطقة تشانغبينغ ببكين. خلال كلمة الافتتاح، تحدث يو مين هونغ عن أمله في تغيير الوضع الحالي في التعليم الصيني.

ما هو التعليم الكامل في نظر يو مين هونغ؟:

هو الدمج بين التعليم الصيني والغربي، والثناء على شخصية الأفراد، والإعلاء من قيمة الإنسان، وتنمية الوعي الاجتماعي، والقدرة على المساهمة.

❊❊❊